﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾

[فُصّلت: 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لمّا ذكر الأعداء، وقرنهم بالنِّذارة؛ أتبعه ذِكْرَ الأولياء، وحباهم بالبشارة

يُظهر الحقُّ سبحانه التَّباينَ العميق بين مصير الكافرين ومصير المؤمنين، فقد ذكر حال الكافرين، وما سيجري عليهم من العذاب، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾ [فصلت: 29]؛ إظهارًا لمدى اليأس والغضب الذي سيسيطر عليهم حين يُحشرون يوم القيامة بسعيهم إلى الانتقام ممَّن أضلَّهم في الدُّنيا، ثمَّ أتبعه بذِكْرِ بشارة المؤمنين الذين آمنوا بالله ربِّهم، ثمَّ استقاموا على طريق الحقِّ، فبيَّن حالهم القابل للإعراض، وثمراته بما أنعم عليهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾: (قوم) أصلٌ يدلُّ على اعتدال الشَّيء واستوائه، يُقال: قامَ الشَّيءُ، واستقامَ: اعتدل واستوى، وأقمتُ الشَّيء، وقوَّمته، فقامَ، بمعنى: استقام[2]، والاستقامةُ يُقالُ في الطَّريق الَّذي يكون على خطٍّ مُستوٍ، وبه شُبِّه طريقُ المُحِقِّ، نحو: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: 6]، واستقامةُ الإنسان: لزومُه المنهجَ المستقيم[3]، والاستقامةُ أيضًا: ضِدُّ الاعوِجاجِ، والمُراد بها في الآية عدمُ الاعوجاج

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 182.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (قوم).
(3) الرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفّاظ: (قوم).

والمَيْلِ، ويشمَلُ معنى الوفاءِ بما كلِّفوا به، وأوَّلُ ما يشمَلُ من ذلكَ: أن يثبُتوا على أصل التَّوحيدِ، أي: لا يُغيِّروا، ولا يرجعوا عنه[1].

2) ﴿وَأَبْشِرُواْ﴾: (بشر) أصلٌ يدلُّ على ظهورِ الشَّيء مع حُسنٍ وجَمالٍ، فالبَشَرَةُ ظاهرُ جِلْدِ الإنسانِ، وسُمّيَ البَشَرُ بَشَرًا لظُهورهم، والبَشيرُ: الحَسَنُ الوَجهِ[2]، والبِشارَةُ المُطْلَقَةُ لا تكونُ إلّا بالخَير، وإنَّما تكونُ بالشَّرِّ؛ إذا كانَت مُقَيَّدَةً؛ كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: 21][3]، والبُشرى: الخَبر الَّذي يُغيِّر البَشَرةَ مِن حُزْنٍ أو سرورٍ، ثمَّ خُصَّ في عُرْفِ اللُّغة بالسُّرور، ولا تكون إلّا بالخبر الأوَّل[4]، والمُرادُ بالبِشارة في الآية: كلُّ خبرِ صِدقٍ وخيرٍ، تتغيَّر به بَشْرَةُ الوجهِ نحوَ الأحسن والأجمل.

3) ﴿تُوعَدُونَ﴾: (وعد) أصلٌ يدُلُّ على تَرْجيَةٍ بقولٍ، يُقالُ: وعَدْتُهُ أعِدُهُ وعْدًا، ويكونُ ذلك بخيرٍ وشَرٍّ، فأمّا الوعيدُ؛ فلا يكونُ إلّا بِشَرٍّ[5]، والوَعْدُ: هو الإخبارُ بأمرٍ مُستَقبَلٍ[6]، والمَوعِدُ: مَوضِعُ التَّواعُدِ، وهو الميعادُ[7]، والمقصودُ بالوعد في الآية: الإخبارُ عن فِعْلِ المُخْبِرِ، وهو تَذْكيرهم بما وُعِدوا في الدُّنيا من الثَّوابِ[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الاستِقامةُ على الحَقِّ أساسُ الأعمالِ الصّالحةِ

يُبيِّن الله تعالى في الآية الكريمة حُسْنَ عاقبةِ المؤمنينَ، فيقول سبحانه: إنَّ الَّذين قالوا نُطقًا بألسِنَتِهم، واعتِقادًا بقُلوبِهم: ربُّنا اللهُ وحْدَه، ثمَّ استَقاموا على تَوحيدِه سبحانه، وامتِثالِ أوامِرِه،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 282.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بشر).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (بشر).
(4) النّوويّ، تحرير ألفاظ التّنبيه، ص: 267، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 184.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وعد).
(6) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (وعد).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (وعد).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 157.

واجتِنابِ نَواهيه، وداوَموا على طاعتِه بإخلاصٍ له، وموافَقةٍ لِشَرعِه، أولئك هم المُؤمِنونَ المُستَقيمونَ، تَتنَزَّلُ عليهم الملائِكةُ بألّا تخافوا ممّا يُستَقبَلُ، ولا تَحزَنوا على ما مَضى، وأبشِروا بالجَنَّةِ الَّتي كُنتُم توعَدونَ بدُخولِها في كُتُبِ اللهِ وعلى ألسِنةِ رُسُلِه؛ جَزاءَ إيمانِكم باللهِ، واستِقامتِكم على دينِه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ فصلِ هذه الآية الكريمة عمّا قبلها:

تشوُّفُ السّامعِ إلى معرفةِ حظِّ المؤمنين بعد ذِكْرِ عذابِ الكافرين

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ الآية، مفصولٌ عمّا سبقَه من كلام؛ لأنَّه استئنافٌ بيانيٌّ ناتج عمّا سبق من قوله: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [فصلت: 19]، إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾ [فصلت: 29]، بعد أن تناولت الآياتُ الحديثَ عمّا أصاب الأممَ السّابقة من المشركين المُكذِّبين من عذابٍ في الدُّنيا، وما هو مُعَدٌّ لهم من عذاب في الآخرة - وقد كان في ذلك عِبرةٌ للمشركين الذين كذَّبوا محمَّدًا ﷺ - يتشوَّق السّامع إلى معرفة حظِّ المؤمنين، ووصف حالهم، فجاءت الآيةُ بيانًا للمُترقِّب، وبُشرى للمُتطلِّب[2].

دلالةُ افتتاحِ الجملةِ بحرفِ التَّوكيدِ ﴿إِنَّ﴾:

في توكيد الخبر تصديقٌ بالموعودِ الإلهيِّ لعبادِهِ الموحِّدين المُستقيمين

افتتح الحقُّ ﷻ الجملةَ بحرف التَّوكيد والنَّصب المُشبَّه بالفعل ﴿إِنَّ﴾، في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ للإشارة بقوَّةٍ إلى صدقِ الموعود المُبشَّر به، مع طرافته وغرابته وجزيلِ كرامته، ولأنَّه من باب الجزاء على اليسير الَّذي لم يكن إلّا بمعونته وهدايته وتثبيته وإقداره بما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فهو ليس محضَ تأكيدٍ فحسب، بل هو تأييدٌ للمؤمنين، وتعضيدٌ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 427، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 177، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 182، والسَّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 748.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 281، 282.

للثَّبات على دينهم والإقامة عليه، رغمَ ما يَلْقَون في ذات الله من تعذيبٍ يُزهِقُ الأنفسَ، ويُرهق الألباب، ولتهوين بطش الكافرين وتوهين كيدهم، وللإغراء بهذه العاقبة الحميدةِ، والخاتمة الفائقة رَباحًا وفَلاحًا، للحذو حذوهم.

دلالةُ تعريف المُسنَدِ إليه بالموصوليَّة ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

سـبـبُ ثـبـوت الإيمان للمسند إليه، وأنَّ تنزُّل الملائكة عليهم مـسـبَّـبٌ عـن قولهم ذاك

تعريفُ المسند إليه بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ دونَ الاسم الظّاهر، بأن يقول: (إنَّ القائلين: ربُّنا اللهُ، المستقيمين)، فيه تعزيزُ معنى الصِّلة، والإيحاءُ بأنَّ هذا التَّصريح بالإيمان هو السَّبب وراءَ ثباتِهم على الحقِّ، فقد أيقنوا أنَّ خالقهم ورازقهم هو إلههم المستحقُّ للعبادة وحدَه دونَ سواه، والتَّعبير بهذا الشَّكل يُشير إلى أنَّ تنزُّل الملائكة عليهم بالكرامة هو نتيجةٌ مباشرة لقولهم ذاك، واستقامتهم في الدّين، فإنَّ الاعتقاد الحقَّ، والإقبالَ على العمل الصّالح هما مِفتاحُ الفوز والنَّصر والفلاح[1].

توقُّعُ الطُّمأنينة والـبـشـارة للمؤمنين قبلَ النُّطق بها

وتعريف المُسنَد إليه بالموصوليَّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، يُضفي على النَّصِّ عُمقًا بلاغيًّا ومعنًى يسبق النُّطق بالخبر نفسه، فهذه التَّهيئةُ النَّفسيَّة للسّامع تجعله يكاد يعرف الخبرَ قبل أن يُذْكَر[2]، فإنَّ إذعان المؤمنين وإقرارَهم بتوحيده تعالى وبربوبيَّته إيماءٌ إلى أنَّهم موعودون وعدَ خيرٍ وبشارةٍ، يُؤيِّدُه تَنزُّل الملائكةِ عليهم بالأمن والطُّمأنينة، ونفي الخوفِ والحُزنِ، فكأنَّ السّامعَ يتوقَّع ذلك قبلَ حصوله، بموجب ما كان من أمر الصِّلة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 283.
(2) أبو موسى، خصائص التّراكيب، ص: 197.

دلالةُ التَّعبير بالقول مادَّةً وصيغةً:

في التَّعبير بمادَّة القول وصيغته الماضويَّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ القولَ ينتظم عملَ اللِّسان: وهو هنا الشَّهادة والإعلان والتَّصريح، وعملَ القلب: وهو التَّصديق والاعتقاد، وعملَ الجوارح: وهو أداءُ التَّكاليف والشَّعائر، وشواهد ذلك من القرآن والسُّنَّة كثيرةٌ، وفيه تصديقٌ لدعوة اللّه المَلِك في هذه الدُّنيا بتواضع وإخباتٍ، فأصلُ الكمالات النَّفسيَّة يتجسَّد في يقينٍ مُصْلِحٍ، وعملٍ صالح، ومعرفةِ الحقِّ لذاته، والعملِ للخير[1].

تحقيقُ القول نطقًا باللِّسان، والإذعان به بالجنان، والتَّصديق لداعي المَلِك الدَّيّان

دلالةُ جملة: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾:

تدلُّ جملة: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ على شجاعتهم في إعلان التَّوحيد، والصَّدعِ به دونَ خشيةٍ من أحد؛ إذ كان قولُهم هذا تعبيرًا صادقًا عن إيمانهم العميق، واعتقادِهم الرّاسخ، فهذا التَّصريح يعكس ما في قلوبهم من يقين[2]، فالأصلُ في الكلام هو الصِّدق، وهو مطابقةُ القول الخبريِّ للواقع والحقيقةِ الخارجيَّة[3].

صَدَعوا بالتَّوحيد، ولم يَخْشَوا أحدًا، وصرَّحوا بإيمانهم العميق واعتقادِهم الرّاسخ

بلاغةُ أسلوب القَصْر في قوله: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾:

تتجلّى بلاغةُ القرآن الكريم في جملة مقولِ القول الابتدائيَّة: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، فأوْرَدَ طرفَيْها مُعرَّفتَيْن؛ لإفادة الحصر بتعريف المُسنَد إليه والمُسنَد[4]، في إشارة إلى أنَّه لا ربَّ لهم سوى المولى سبحانه، ممّا يعكس جوهرَ الاعتقاد الحقِّ، فالاعترافُ بالتَّوحيد يُزيل العقباتِ أمامَ تصديق الرَّسول ﷺ فيما جاء به؛ إذ إنَّ المشركين لم يمنعهم عن الإيمان برسالة النَّبيِّ ﷺ سوى أمرِه لهم بنبذ عبادة غيرِ اللّه تعالى، فضلًا عن أنَّ إنكار البعث جاء من دعوات الشِّرك[5].

الاعترافُ بالتَّوحيد يُزيل العقباتِ أمامَ تصديق الرَّسول ﷺ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 182.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 282.
(3) القزوينيّ، الإيضاح: 1/ 61.
(4) الشّهاب، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 398.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 282.

دلالةُ التَّعبيرِ باسم الرُّبوبيَّة ﴿رَبُّنَا﴾ مع اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾:

جمعٌ فريدٌ بين الإحسان الرَّبّانيّ والتَّوحيد الخالص؛ لإظهار كمال الصِّفات الإلهيَّة

عبَّر النَّظمُ الكريمُ باسمي الرُّبوبيَّة والجلالة في قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، فاسمُ (الرَّبِّ) يعني المُحسنَ إلينا، والمُتكفِّلَ بكلِّ احتياجاتنا، والاسمُ الجليل ﴿ٱللَّهُ﴾ يحمل في طيّاته الصِّفاتِ الفريدةَ للجلال والعظَمة والإكرام[1]، لا يشاركُهُ فيها أحدٌ، وهذا الجمعُ الفريد بين الإحسان الرَّبانيِّ، والتَّوحيد الخالص يُبرز كمالَ صفات الله تعالى.

سِرُّ تقديم الرُّبوبيَّة على اسم الجلالة:

الرُّبوبيَّة تأسيسٌ، والألوهيَّة بنيانٌ

قُدِّم توحيد الربوبية على توحيد الألوهية في قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ الرُّبوبيَّة تُشير إلى الاعتراف بأنَّ الله تعالى هو الخالق والمُدبِّر والمُربّي، وهذا الاعتراف يُعدُّ الأساس الأوَّل الذي ينطلق منه الإنسانُ في رحلته الإيمانيَّة، فإذا قال الإنسان: "ربّي الله؛ اعترف بأنَّه مالكُه ومُدَبِّرُ أمرِه ومُربّيه، وأنَّه عبدٌ مربوبٌ بين يدي مولاه"[2]؛ فيبدأ الإنسانُ بتثبيت عقيدته في ربِّه ومُدبِّر أموره، ثمَّ يأتي بعد ذلك الإقرارُ بأنَّه تعالى هو المعبود الواحد الذي لا شريكَ له.

دلالةُ الجمعِ بين الرُّبوبيَّةِ والأُلوهيَّة والاستقامة:

الكمال الإسلامي كائنٌ في التَّوحيد والاستقامة في الأعمال الصّالحة

في جملة: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ برهانٌ على جمعها لأصلَين من أصول الكمال الإسلاميِّ، فقولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ يُشير إلى الكمال النَّفسيِّ، وهو معرفة الحقِّ للاهتداء به، ومعرفة الخير من أجل العمل به، فالكمالُ هو العلم اليقينيُّ والعمل الصّالح، ومعرفةُ الله هي أساس العِلْم اليقينيِّ، أمّا قولُه: ﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾؛ فيشير إلى أساس الأعمال الصّالحة، وهي الاستقامة على الحقِّ، أي: أن يكون الإنسان متوسِّطًا غيرَ مائلٍ إلى طرفَي الإفراط والتَّفريط، وكمالُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 182.
(2) الشّهاب، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 398.

الاعتقاد راجعٌ إلى الاستقامة، فالاعتقادُ الحقُّ لا يتوغَّل في جانب النَّفي إلى أن ينتهيَ إلى التَّعطيل، ولا في جانب الإثبات إلى أن ينتهيَ إلى التَّشبيه والتَّمثيل، بل يسير على الخطِّ المستقيم الفاصل بين التَّشبيه والتَّعطيل[1].

سرُّ التَّعبير بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ دون غيره من حروف العطف:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ بيانٌ أهمّيَّة الثَّباتِ على التَّوحيد وتصحيحِ العقيدة حتّى الممات، وهو أمرٌ ذو رتبةٍ عالية، ومنزلة سامية، ولا يمكن الوصول إليه إلّا بتوفيق الله ﷻ[2]، واستعمالُ أداةِ التَّراخي ﴿ثُمَّ﴾ يشير إلى أنَّ الوصول إلى الاستقامة فيه يحتاجُ إلى الجهد والتَّوفيقِ منه سبحانه بعد الإيمان به، ويوضِّح أنَّ الإيمانَ به وتوحيدَه ما هو إلّا بداية الطَّريق، أمّا الاستمرارُ فيه، والثَّباتُ عليه حتّى النِّهاية؛ فإنَّه يتطلَّب نعمةً منه ﷻ وعملًا دؤوبًا لا ينقطع.

الوصولُ إلى الاستقامة يحتاج إلى جهد وعمل دؤوب وتوفيق من الله بعدَ الإيمان

والتَّعبير بحرف التَّراخي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ يُظهر تأخيرًا زمنيًّا ورُتبيًّا؛ إذ يضع الاستقامة في مرتبة زائدة على الإقرار بالتَّوحيد، فالاستقامة تشمل الثَّبات على التَّوحيد، والعملَ بما يقتضيه، ممّا يجعلها أسمى وأعمق، وهذا الثَّبات برهان على أنَّ قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ لم يكن كلامًا حسب، بل هو تعبيرٌ حقيقيٌّ عن اعتقادٍ راسخ، وإيمان صادقٍ ينبعث من أعماق ضمائرهم ومعرفتِهم الحقيقيَّة[3].

الاستقامة رتبةٌ زائدةٌ على التَّوحيد، وهي دليلٌ على الإيمان الرّاسخ والعمل الصّالح

ويجوز أن يكون التَّعبير بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ مع فعل الاستقامة مُستعمَلًا للتَّراخي الزَّمانيِّ، فهو يشير إلى أنَّ الاستقامةَ تأتي بعد مُدَّةٍ من وقت الإقرار بالرُّبوبيَّة والأُلوهيَّة[4]، ممّا يعني أنَّ هناك مدَّةً زمنيَّة بين الإقرار والعمل بمقتضياته، وهو يعكس الفهمَ العميق

بين الإقرار والاستقامة تراخٍ زمانيٌّ لنضوج الإيمان

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 560.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 183.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 283.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 372.

لتطوُّر الإيمان والعمل به، إذ يبدأ الإنسانُ بالإقرار بأنَّ الله هو ربُّه ومولاه، ثمَّ ينتقل إلى مرحلة الاستقامة والثَّبات على هذا الإيمان، فالإيمان الحقيقيُّ يتطلَّب وقتًا لنضوجه وتجذُّره في القلب، ثمَّ ظهوره على الجوارح.

دلالةُ التَّعبير بالاستقامة في قوله: ﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ مادَّةً وصيغةً:

التَّعبير بالاستقامة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ واردٌ على معنى الثَّبات على الإيمان والرُّسوخ فيه، وإخلاصِ العمل، وأداءِ الفرائض بجزئيّاتها، مثلما أوجبها الحقُّ ﷻ[1]، واستعمالُ الصّيغة الماضويَّة في فعل الاستقامة يدلُّ على تحقُّق الاستقامة وثباتها حتّى الممات، حينما قال النّاس كلمةَ التَّوحيد، ثمَّ كفر كثيرٌ منهم، "فمَن مات عليها؛ فهو مِمَّن استقام"[2].

الثَّباتُ على الإيمان وإخلاصُ العمل وأداءُ الفرائض بيان لجزئيّاتها

دلالةُ السّين والتّاء في ﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾:

في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ أورد الاستقامة مُقترنةً بالسّين والتّاء للمبالغة في التَّقوُّم والثَّبات، ممّا يشي بأنَّ المعنى الحقيقيَّ للاستقامة هو الوقوف بثباتٍ واستقامة دون ميل أو انحناء[3]، كما أنَّ زيادتهما تُفيدان معنى التَّشبُّث والتَّلبُّث والمُكْث فيما تدلُّ اللَّفظة عليه من الإقامة بما يُعطي معنى البقاء والمداومة، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: 102].

المبالغة في التَّقوُّم والثَّبات في طريق الحقِّ، وعدمُ الانحراف عنه

ولمّا كانت السّين والتّاء تدلّان غالبًا على الطَّلب في معاني الأبنية الصَّرفيَّة العربيَّة المزيدة[4]، فيجوز أن يكون التَّعبير بصيغة (الاستفعال)؛ للإشعار بأنَّهم لم يألوا جهدًا في طلب الاستقامة، فهي مطلب عظيم لا يحصل إلّا لمَن وفَّقه الحقُّ سبحانه؛ ولذلك

الاستقامةُ مطلب عظيم يتمُّ بتوفيق إلهيٍّ في الطّاعات وترك المنكرات

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 13.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 464.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 282.
(4) ابن جنّي، المنصف، ص: 77.

قيل: "إنَّ أعظم كرامةٍ هي التَّوفيق لفِعْل الطّاعات، وتَرْكِ المنكرات، والاستقامةِ على فعل الخيرات"[1].

بلاغةُ الاستعارة في قوله: ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾:

الجمعُ بين حُسن العمل وطريق الحقِّ والوفاء بالتَّكاليف الشَّرعيَّة والثَّبات على التَّوحيد

فِعْلُ الاستقامة مُستعملٌ هنا على معنى الاستعارة الجامعة بين معاني حُسْن العمل، والسَّير على طريق الحقِّ والصِّدق، ومنه قولهم: استقامت البلاد للمَلِك؛ إذا أطاعته، ففي قوله: ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ إشارةٌ إلى الوفاء بكلِّ ما كُلِّفوا به من التَّكاليف الشَّرعيَّة، وأظهر ما يكون من ذلك الثَّباتُ على أصل التَّوحيد من غير تغيير ولا تراجع، معَ الالتزام المستمرِّ بالحقِّ، والعمل الصّالح[2].

بلاغةُ الإيجاز في جملة: ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾:

الإقرارُ بالألوهيَّة والرُّبوبيَّة ثمَّ الاستقامةُ تلخيصٌ لجوهر الإسلام كلِّه

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ كلام مشتمل على إيجاز بالغ، وهو يحمل المعاني العظيمة؛ إذ ورد عن سفيان بن عبد الله الثَّقفيِّ أنَّه قال: "قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك - وفي رواية - غيرَك، فقال النَّبيُّ ﷺ: «قل: آمنت بالله، ثمَّ استقم»[3]، فكأنَّ هذه الكلمات قد لخَّصت الإسلام كلَّه، وأشارت إلى جوهره برمَّته، وقد قيل: إنَّ الاستقامة أساس الكرامة وعينُها[4].

أثرُ التَّعبير بالاستقامة على الأعمال الصّالحة للمؤمن:

لزومُ المنهج المستقيم وإخلاصُ العمل وأداءُ الفرائض ونحوها

للتَّعبير بالاستقامة أثرٌ على الأعمال الصّالحة؛ لأنَّ الاستقامة معناها أنَّهم ثبتوا على الإقرار بقولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، ومقتضياته: بألّا تزلَّ قدمُهم عن طريق العبوديَّة قَلْبًا وقالبًا، ولا تتخطّاه، وفيه تندرج كلُّ العبادات والاعتقادات، واستقامةُ الإنسان لزومُه للمنهج المستقيم، وإخلاصِ العمل، وأداءِ الفرائض ونحوِها[5].

(1) السّبكيّ، الإبهاج: 1/ 137.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 282.
(3) صحيح مسلم، برقم: (38).
(4) رضا، تفسير المنار: 12/ 139.
(5) حقّي، روح البيان: 8/ 254.

بلاغةُ الإيجاز في التَّعبير بالاستقامة:

قولُه تعالى: ﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ فعلٌ جامع موجزٌ لصنوف المعاني، بشُموله الاستقامةَ في العقائد، كمثال للإلهيّات: يتوسَّط المؤمن بين التَّشبيه والتَّعطيل، ممّا يحفظ العقلَ من الانحراف، ويشمل الاستقامةَ في الأعمال، وذلك بقيام المؤمن بوظائف العبادات دون تفريطٍ أو إفراط يؤدّي إلى فقدان الحقوق، ويتضمَّن الاستقامة في الأخلاق؛ إذ يتوسَّط المؤمنُ بين نقيضَيْن، كالجود الذي يقع بين الإسراف والبُخْل، ممّا يجعله داخلًا في العمل[1].

تتَّسعُ الاستقامةُ لتشملَ العقائدَ والعبادات والأخلاق والمعاملات

التَّعبيرُ بالاستقامة بعد الإقرار بالرُّبوبيَّة والأُلوهيَّة احتراسٌ:

التَّعبيرُ بالاستقامة في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ بعد الإقرار بالرُّبوبيَّة والألوهيَّة يندرج تحت باب الاحتراس، فقد أقرَّ المنافقون بالرُّبوبيَّة والألوهيَّة، لكنَّهم لم يستقيموا على ذلك الطَّريق[2]، فالاستقامة تمييزٌ للمؤمنين الحقيقيّين عن المنافقين؛ لأنَّها تعني الثَّبات على الإيمان، والعمل بمقتضياته دونَ انحراف أو تردُّد.

الاستقامة تمييز للإيمان الحقيقيِّ من نفاق القلوب

بلاغةُ التَّعبير بالاستقامة:

التَّعبير باستقامة المؤمنين الذين لم يكتفوا بالإقرار بربوبيَّة الله تعالى وتوحيده حسب، بل استقاموا على هذا الإيمان بكلِّ ما فيه من التزام بالشَّرائع والأحكام، يحمل تعريضًا باليهود والنَّصارى[3]؛ لعدم استقامتِهم على دينهم، وعدمِ التزامهم بذلك بشكلٍ مستمرٍّ وصحيحٍ.

التَّعريضُ باليهود والنَّصارى في عدم استقامتهم على دينهم

دلالةُ التَّعبير بالتَّنزُّل مع الملائكة دون غيره من الأفعال:

في ذِكْر فعلِ التَّنزُّل دونَ غيره، كالإرسال ونحوه في قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾، إشادةٌ بالمؤمنين، وتنويهٌ بشأنهم وعَظَمتهم؛ فالملائكةُ تتَنزَّل من عُلويّاتِها لأجلهم؛ إظهارًا لمدى

التَّنويهُ بشأن المؤمنين ومكانتهم العظيمة عند الملائكة بخلاف الكافرين

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 17/ 158.
(2) حقّي، روح البيان: 8/ 255.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 25/ 363.

تكريمهم، أمّا أعداء الله من الكافرين؛ فإنَّهم يواجهون الملائكةَ في يوم الحشر، وهم يُقتادون، وليس هناك تنزُّل خاصٌّ بهم، فاللهُ تعالى يمنح المؤمنين كرامةً ومكانةً مُشابهةً لكرامة الأنبياء والمرسلين، بأن تتنزَّل عليهم الملائكةُ؛ لتُبشِّرَهم، وتُثبِّتَهم، في تعبير رائع عن التَّكريم الإلهيِّ والثَّواب الرَّبّانيِّ[1].

بلاغةُ التَّعبير بالتَّنزُّل في قوله: ﴿تَتَنَزَّلُ﴾ دون (تنزَّل):

تَـنـزُّلُ الملائكةِ المستمرُّ رمزٌ للدَّعم الإلهيِّ والرِّعاية الرَّبّانيَّة للمؤمنين

الفعل في قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ تنزُّلٌ مُتَّصفٌ بالتَّدريج المُتَّصل، وهذا مُتَّسقٌ مع التَّنزُّل المُستمرِّ منذ أن نُفِخَ الرّوحُ فيهم إلى أن تنتهيَ أعمارُهم، ويموتوا، ثمَّ دخولهم الجنَّةَ باطنًا فظاهرًا[2]، يرمز إلى الدَّعم الإلهيِّ المتواصل للمؤمنين؛ إذ تتَنزَّل الملائكةُ تباعًا لتهدئة قلوبهم، وإزالةِ الخوف والحُزن عنهم، وفي ذلك إظهارٌ لمدى العناية الإلهيَّة والرِّعاية الرَّبّانيَّة التي يحظى بها المؤمنون.

كـثرةُ التَّـنـزُّل واستـمـرارُه في مَدِّ المؤمنين بما يحتاجونه من الأمـور الدّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ

وعلى مبدأ زيادة المباني يصحبه غالبًا زيادةٌ في المعاني[3]، فإنَّ التَّنزُّل بتاءَيْن دالٌّ على زيادة المعنى بكثرة التَّنزُّل وتطاول زمنه والتَّمهُّل فيه[4]، وعلى عمق المعنى واستمراريَّة حدوثِه عبرَ الزَّمن، فإنَّ الملائكة تستمرُّ في مدِّ المؤمنين بما يحتاجونه من الأمور الدّينيَّة والدُّنيويَّة، فتشرحُ صدورَهم، وتدفع عنهم الخوفَ والحزن بواسطة الإلهام الإلهيِّ[5].

سرُّ تخصيص التَّنزُّل بالملائكة دون غيرهم:

الحَفَظَة من الملائكة هي مَن تتنزَّل على المؤمنين حاملة معها البُشرى

أسند النَّظمُ الكريم فعلَ التَّنزُّلِ للملائكة، وخصَّهم به دون غيرهم في قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ لأنَّ الملائكة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 284.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 183.
(3) السّامرّائيّ، معاني النّحو: 1/ 11.
(4) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 17/ 159.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 12/ 350.

الحَفَظَةَ هم الذين يتنزَّلون على المؤمنين من السَّماء يوم القيامة؛ لما للحَفَظَة من مكانةٍ خاصَّةٍ عند الله تعالى، ثمَّ يُقابل المؤمنون الملائكةَ الذين كانوا يسجِّلون أعمالهم في الدُّنيا في لحظة مليئة بالرَّهبة والفَرح، فيخاطبُ المَلَكُ المؤمنَ قائلًا: أتعرفني؟ وعند ردِّ المؤمن بالنَّفي، يُبشِّره المَلَكُ قائلًا: أنا الَّذي كنتُ أكتبُ عملك، وأُبشِّرك بالجنَّة[1].

دلالةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿عَلَيْهِمُ﴾:

إظهارُ مدى خصوصيَّة المؤمنين وتفرُّدهم بهذا التَّكريم الإلهيّ

لَمّا أراد السّياقُ القرآنيُّ الكريمُ إكرامَهم غايةَ الإكرام والحبورِ والسُّرور، قدَّم الجارَّ والمجرور بقوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وكأنَّ ذلك التَّنزُّلَ مخصوصٌ بهؤلاء المؤمنين؛ لما يُعطيه التَّقديمُ منَ الاختصاص[2]، وليُظهرَ مدى خصوصيَّتِهم وتفرُّدِهم بهذا التَّكريم الإلهيِّ.

دلالةُ التَّعبيرِ بحرف الاستعلاء (على) في قوله: ﴿عَلَيْهِمُ﴾:

نزولُ الملائكة من عَلٍ تكريمٌ ربّانيٌّ وإشارةٌ إلى رِفعة قدرِ المُتنزَّل عليهم

الأصل في (على) في كلام العرب أنَّه حرف دالٌّ على الاستعلاء[3]، واستعمالُه في قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يدلُّ على عُلوِّ المكانةِ وسُموِّها الَّتي يتمتَّع بها المؤمنون عند ربِّهم، فَفِعْلُ التَّنزُّلِ من الملائكة يُشير إلى رِفعةِ قدْرِ المؤمنين وتكريمهم، وفيه تجسيدٌ لمدى العناية الإلهيَّة، والاحترامِ الَّذي تحظى به فئةُ المؤمنين.

دلالة (أن) في قوله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾:

تنزُّلُ الملائكةِ يمنع الخوفَ والحُزن

يشتمل قولُه تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ على (أن) والفعلِ المَنفيِّ (لا تخافوا)، و(أن) هنا دالَّةٌ على التَّفسير، وهي بمعنى: (أي)، فهي مُخفَّفةٌ من الثَّقيلة، والتَّقدير: (بأنه لا تخافوا)، والهاء ضمير

(1) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 3/ 226.
(2) ابن الأثير، المثل السّائر: 2/ 173.
(3) ابن السَّرّاج، الأصول في النّحو: 3/ 176.

الشَّأن، ويجوز أن تكون صلة على معنى: (قائلين لا تخافوا)، فتنزُّل الملائكةِ ذو شأنٍ مانعٍ من الخوف والحزن، أو أنَّ حالهم دالٌّ على قولٍ ينفي خوفهم وحزنهم[1].

سِرُّ حذفِ القولِ في قوله: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾:

تَنزُّلُ الملائكةِ لتثبيت المؤمنين وإشاعةِ الطُّمأنينةِ في لحظاتِ الخوفِ والحزنِ

حُذِفَ القولُ من قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾؛ لتضمُّن فِعْلِ التَّنزُّل معنى القَول، والتَّقدير: (يقولون: لا تخافوا، ولا تحزنوا)[2]، في تعبير عن مدى الاهتمام بالمؤمنين، وتقديمِ الطُّمأنينة لهم في لحظات الخوف والحُزن، فالتَّنزُّل هنا ليس مجرَّدَ نزولٍ، بل هو نزولٌ يحمل معانيَ تثبيتٍ وتشجيعٍ للمؤمنين، مُؤكِّدًا أنَّ الله تعالى معهم، وألّا يخافوا، أو يحزنوا من أمر الدُّنيا أو الآخرة.

دلالةُ الخطاب في قوله: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾:

طُمأنينةُ المؤمن في مواجهة الأهوال نفيٌ مُطلقٌ للخوف والحُزن

المشهور في معنى قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ هو أنَّ هذا الخطاب يَحدُث عند الموت، وفي القبر، وعند البعث، وفي هذا الخطاب بيانٌ بأنَّ المؤمنَ في هذه الأحوال الثَّلاثة لن يكون مُفزَّعًا من الأهوال والخَطْب الشَّديد، بل سيكون مُطمئنَّ القلب، هادئَ الصَّدر؛ لأنَّ ذاك القولَ يفيد نفيَ الخوفِ والحُزن بشكل مطلق[3].

التَّنزُّلُ الملائكيُّ الخفيُّ طمأنينةٌ للمؤمنين وتذكيرٌ بنعيم الجنَّة للمُتَّقين

والتَّنزُّلُ الملائكيُّ في الدُّنيا قد يكون خفيًّا تُعرف آثاره في نفوس المؤمنين، والخطاب في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ واردٌ بمعنى بثِّ الطُّمأنينة في قلوبهم، وإلقائها في روعِهم، عكسَ وسوسةِ الشَّياطين المقرونة بالتَّزيين، فتُلقي الملائكةُ في نفوس المؤمنين مشاعرَ تَصْرِفُهم عن الخوف والحُزن، وتُذكِّرهم بالجنَّة التي أُعدَّت للمتَّقين، فتسكنُ قلوبُهم، وتنشرحُ صدورُهم بالثِّقة بحلولها[4].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 199.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 284.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 561.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 284.

دلالةُ النَّهي عن الخوف في ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾:

(لا) في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ دالَّةٌ على النَّهي، وهو أحد معانيها المشتهرة في كلام العرب، وقد نهاهم هنا عن الخوف والحزن، والتَّعبير بالنَّهي مقصودٌ به النَّهيُ عن سبب الخوف، وهو توقُّعُ الضُّرِّ، كأن يقال: لا تظنّوا أنَّ الله يعاقبكم، فكان النَّهيُ في هذا السّياق كنايةً عن تأمينهم من جانب المولى سبحانه، فإذا ما تحقَّق لهم الأمنُ؛ انزاحَ الخوفُ من قلوبهم، وهذا يُعبِّر عن تطمينِ الملائكة لنفوس المؤمنين[1].

نهيٌ عن سبب الخوف، وتأكيدٌ للأمان الإلهيّ، وتطمينٌ لهم من الملائكة

سِرُّ التَّرتيب بالنَّهي بين الخوف والحُزن في قوله: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾:

لمّا نهاهم عن الخوف قصدًا إلى أسبابه؛ أردفه بأن نهاهم عن الحُزن في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾، وسرُّ هذا التَّرتيب: أنَّه نهاهم عمّا يُقدِمون عليه من المَخوف؛ إذ هو غَمٌّ يلحقُهم لتَوقُّع المكروه، ثمَّ نهاهم عن أن يحزنوا على ما خلَّفوا؛ إذ إنَّه غمٌّ يلحقهم؛ لوقوعه حُزنًا على ما فاتهم من أمرٍ نافعٍ أو حصول ضررٍ[2]، فبدأ بالقادم، وانتهى بالفائت.

ترتيبُ النَّهي من مواجهة الخوف إلى تـوديـع الحُزن

دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَأَبۡشِرُواْ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ مُستعملةٌ للعطف، فقد عطفَتْ فعلَ البشارة على ما قبله من فعل النَّهي عن الخوف والحُزن[3]، في إظهار للتَّكامل بين النَّهي والبشارة؛ إذ يُمنَع المؤمنون من الخوف والحُزن، ثمَّ يُبشَّرون بالجنَّة، وهذا العطفُ يضيف لمسةً من التَّآزر والتَّناغم بين الأوامر الرَّبّانيَّة في النَّهي عن مُسبِّبات الأتراح، وتبشيرًا بموجبات الأفراح.

تناغمُ الأوامر الرَّبّانيَّة عطفًا، نهيٌ عن الأتراح وبشارةٌ بالأفراح

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 285.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 199.
(3) الدّرويش، إعراب القرآن الكريم: 8/ 560.

سرُّ التَّعبير بالبشارة في قوله: ﴿وَأَبۡشِرُواْ﴾:

إعلانُ الجنَّة للأتقياء تعيينًا، إخبارٌ بنفعٍ عظيمٍ يُعَدُّ بشارةً

والجملة من قوله تعالى: ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ خبرٌ سُمّي بشارةً، وسببُ ذلك: أنَّ المؤمن يعلم بأنَّ مَن كان مؤمنًا تقيًّا؛ فالجنَّةُ مصيره، ولكنَّه لم يسمع أبدًا أنَّه من أهل الجنَّة على وجه التَّعيين، فعندما يسمع هذا الكلامَ من الملائكة، يكون ذلك إخبارًا بنفعٍ عظيم لم يكن يعلمه من قبلُ؛ لذا فإنَّ هذا الإعلانَ يُعَدُّ بشارةً عظيمة كونه يحمل الخيرَ والأمل[1].

دلالةُ الأمر في قوله: ﴿وَأَبۡشِرُواْ﴾:

إلحاقُ البشارة بالتَّأمين، فالنَّعيم واقعٌ موقعَ السُّرور إن عُدِمَ توقُّعُ المكروه

الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ دالٌّ على تعزيز الطُّمأنينة ببشارةٍ عظيمة بأنَّهم أهل الجنَّة، فعندما يقترن الأمانُ بالبشارة يَنْزِلُ نعيمُ الجنَّة في النَّفس بأقصى درجات السُّرور، غيرَ مشوبٍ بتوقُّع أيِّ مكروهٍ[2]، وهذا الجمع بين الأمانِ والبشارة يُظهِر مدى الرَّحمة والعناية الإلهيَّة بالمؤمنين، ويزيدُهم ثقةً في موعوده ﷻ.

دلالةُ ذِكْر البشارة بعد النَّهي عن الخوف والحُزن:

الأولَويَّة في دفع الضَّرر بالنَّهي عن الخوف والحزن، ثمَّ جلب المنافع بالفوز بالجنَّة

في دلالة ذِكْر البشارة بعد ذِكْر النَّهي عن الخوف والحُزن في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ ينبع من مبدأ أنَّ دفْعَ الضَّرر أَوْلَى بالعناية من جَلْب المنفعة، ففي هذه الجملة يُبيِّن الحقُّ تعالى عن طريق الملائكة أنَّ أوَّل ما يُخبَر به المؤمنون أنَّه لا خوفٌ عليهم من أحوال القيامة المقبلة، ولا حزنٌ على ما فات من أمور الدُّنيا، ثمَّ بعد ذلك يُبشِّرونهم بحصول المنافع كالفوز بالجنَّة[3]، هذا التَّرتيب يُظهر الحِكمة الإلَهيَّة في تقديم دفع المضارِّ على جَلْب المنافع.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 561.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 285.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 560، 561.

سرُّ ذِكْرِ الوعدِ في قوله: ﴿تُوعَدُونَ﴾:

تأكيدُ فضلِ الموحِّدين المؤمنين بالغيبِ

من معالم إيمانِ أهل الاهتداء من المؤمنين الأتقياء إيمانُهم بالغيب، وهؤلاء المؤمنون كانوا من أولي الرُّسوخ في ذلك، فصدَّقوا موعودَ الله بالجنَّة والثَّواب على العمل الصّالح، فكان تذكيرهم بإيمانهم هذا بالغيب مما يُعجِّل لهم مِن البشارةِ الباعثة للقلب على الارتياح، وللصَّدر على الانشراح، وذلك الفرحُ السّافر بالفوز الباهر.

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿تُوعَدُونَ﴾:

تكرارُ الوعد الإلهيّ وتثبيته بموجب تكرُّر أعمالهم الصّالحة

ذِكْرُ فعلِ الوعد بصيغة المضارع في قوله: ﴿تُوعَدُونَ﴾ يدلُّ على إظهاره بشكل مستمرٍّ ومتكرِّر ومتجدِّد في كلِّ حين[1]؛ ليُفاد أنَّ وعود الله تعالى لعباده تأتي دومًا مؤكِّدة أنَّ أعمالهم الصّالحة لن تذهب سُدًى، وهذا الوعدُ المُتجدِّد يظهر في كلِّ مواضع التَّذكير والتَّبشير[2]، ممّا يُعزِّز الثِّقةَ في موعود المولى سبحانه، ويزيد الأملَ في قلوب المؤمنين بأنَّ نعيم الجنَّة ليس بعيدًا، بل هو حقيقة يتكرَّر الوعدُ بها، ويترسَّخ في النُّفوس.

دلالةُ حذف متعلَّق ﴿تُوعَدُونَ﴾:

إطلاقُ الوعد بالجنَّة دالٌّ على شموليَّة النِّعم وعمق البشارة

حَذْفُ متعلِّقِ الفعل ﴿تُوعَدُونَ﴾ يُضفي على العبارة طابعًا من التَّوسُّع والإطلاق، فهذا الحذفُ يجعل الوعدَ بالجنَّة شاملًا لكلِّ النِّعم التي يمكن أن تكون موضوعًا للوعد، بدلًا من تحديد مُتعلَّقٍ واحد، ويُتيح الحذفُ للقارئ أن يتصوَّر جميعَ أنواعِ النِّعم والبركات التي وُعِدَ بها المؤمنون، ممّا يُعزِّز من شموليَّة البشارة وعمقِها، ويوحي بأنَّ الجنَّة تتضمَّن كلَّ ما يمكن أن يتمنّاه المؤمنُ، ويتطلَّع إليه.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 184.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 285.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"